

الباب الثالث

استراتيجية السمات والقابليات

obeikandi.com

الفصل الثامن

مقدمة عامة عن استراتيجية السمات

- ١ - المفاهيم المبكرة للسمات (والقابليات)
- ٢ - الافتراضات النظرية لاستراتيجية السمات
 - الثبات النسبي للسمات
 - اتساق السمات وعموميتها
 - الفروق الفردية .
- ٣ - التعريف بسمات الشخصية .
- ٤ - تقويم سمات الشخصية وتشخيصها .
- ٥ - دراسة السمات .
- ٦ - متانة السمات وإمكانية تغير الشخصية (بالعلاج النفسي) .

obeikandi.com

مقدمة عامة عن استراتيجية السمات

«إنه يملك تعويذة خاصة ، تدفعه وتشجعه لتجاوز ضعفه وليصبح مناقشاً ومتحدثاً بارعاً بين أصدقائه» ، (Nisensoh, Dewitt 1949) يزودنا هذا الوصف ببعض المشاعر والأفكار عن هذا الشخص الموصوف. إن عنده بعض الصفات التي تميزه عن الآخرين ، وهذا يساعدنا في التنبؤ بما سيفعله في مواقف لاحقة مختلفة. هذا الرجل المقصود بالوصف هو كاتب اسكتلندي من القرن التاسع عشر هو روبرت لويس ستيفنسون Robert Louis Stevenson وربما ينطبق هذا الوصف على العديد من الناس أيضاً ، ومع أن هناك الكثير مما لم يقال لنا عن شخصيته ، فإننا نعتقد بأن هذا القول يبين لنا بعضاً من صفاته الأساسية والطريقة التي تميزه (السمات) بالسلوك في علاقاته وتفاعله الاجتماعي .

سوف نناقش هنا استراتيجية السمات Traits Strategy (ونحن نستعمل مصطلح السمة Trait ، مع أن بعضهم يفضل استعمال مصطلح القابليات Dispositions التي تعني السمات الجوهرية الخاصة التي تميز شخصية عن أخرى مقابل السمات الأخرى التي هي عامة ومشاركة بين الناس وكما سيتوضح في حديثنا عن هذه النظرية) .

إن الفكرة الرئيسية خلف هذه الاستراتيجية (من استراتيجيات

الشخصية) هي إيجاد تعريف للصفة Trait باعتبارها صفة للشخصية ثابتة ومستمرة ووفقاً لذلك ، فإن الناس يختلفون في سلوكهم بسبب اختلاف سماتهم وقابلياتهم. ربما يبدو من غير المدهش أن أكثر الكتاب يعتبرون ذلك أقدم الطرق في تفسير السلوك. إن وصف الناس والجماعات وحتى الأمم في مصطلحات ومفاهيم السمات يبدو أمراً طبيعياً. لذلك من المفضل أن نقرأ هذا الإطار الشارح التالي (٨ - ١) الذي يساعدنا للدخول في هذه الاستراتيجية الهامة ، قبل أن نتقدم خطوة للأمام. ففي هذا الإطار الشارح سوف تتكشف لنا بعض مفاهيم السمات المتعلقة بالسلوك والشخصية.

الإطار الشارح ٨ - ١ .

وصف الناس استناداً لمفاهيم السمات:

نحن جميعاً نستعمل مفاهيم السمات في وصف سلوك الناس ومحاولة شرحه. وهذا غالباً ما يتم على الشكل التالي «هكذا هو إنه شخص» أو «هو هكذا يتصرف بهذه الطريقة لأنه» ، «فلان شخص خنوع وحليم» أو «إن فلاناً يتصرف بهذه الطريقة لأنه متكبر».

إن الهدف من هذا الإطار الشارح هو مساعدتك في وصف الناس الذين تعرفهم مستعملاً مفاهيم نظرية السمات. وسوف يتيح لك أن تقارن طريقة استخدامك لهذه المفاهيم مع الطريقة التي يعتمدها علماء نفس الشخصية في هذه النظرية. كما يخدم في إعطاء مقدمة ومعلومات عن الطرائق والتنبؤ ، والنتائج العامة التي توصلت إليها هذه الاستراتيجية.

الطريقة:

١ - خذ ٦ بطاقات (ورقات) واكتب على إحداها الحرف (أ) والثانية (ب) والثالثة (ج) . . . وانتهاء بالسادسة (و) وذلك في أعلى الورقة. ثم رسم المخطط التالي (الجدول ١) على ورقة مستقلة أخرى لأنك سوف تستخدمه لاحقاً.

نسبة التشابه	الانتشار				عدد الصفات المستخدمة	الاسم Name	المرتبة Rank
	نادراً	بالصدفة	بشكل متكرر	دائماً تقريباً			

الجدول ١: مخطط العمل الذي يجب رسمه على ورقة خاصة

٢ - عليك أن تسمي شخصاً محدداً من جنسك (نفس الجنس) لكل من الفئات التالية ، واكتب كلاً من أسمائهم في قمة الورقات (البطاقات) الست المناسبة:

أ - والدك من نفس الجنس ، أو أحد أقاربك من نفس العائلة ومن نفس الجنس (قراية دم).

ب - صديق حميم ولكن ليس من أقاربك .

ج - شخص ما (ليس قريبك) تكون لك معه صداقة (علاقة مصلحة أو سبب ما).

د - شخص ما (ليس قريبك) تعرفه فقط في مجال أو ميدان معين (في المدرسة الثانوية مثلاً ، أو مدرس بالجامعة . . .).

هـ - شخصية تاريخية تُعجب بها وتقدرها .

و - نفسك (ذاتك).

٣ - ابدأ بوالدك (من جنسك) أي الشخص (أ) وضع قائمة بالصفات التي تعتقد أنه يتصف بها أكتب الصفات التي تعتبرها ضرورية في التعبير عنه بشكل كامل مهما كانت قليلة أو كثيرة (وليس مهماً ترتيبها) وكرر نفس الطريقة بالنسبة للأشخاص الآخرين ذوي البطاقات ب - ج - د - هـ - و .

٤ - ابدأ مع الشخص (أ) أي والدك من جنسك ، وانظر إلى الصفات لتتعرف وتبين ما فيها من تشابه أو تكرار (مثلاً ، أخرق - غير رشيق - وغير بارع لها نفس المعنى) وعندما تكون غير متأكد فانظر إليها في القاموس . ثم أوجز هذه الصفات وكثفها لكونها متشابهة ومكررة عن طريق حذف بعضها أو دمجها مع بعض على الشكل التالي (أخرق - غير بارع) ثم كرر نفس الطريقة بالنسبة للأشخاص الآخرين بالبطاقات الأخرى .

٥ - ابدأ ثانية من الشخص (أ) ورتب هذه الصفات التي ذكرتها مبتدئاً بتلك التي تصفه وترتبط به أو تنطبق عليه أو ثوق ارتباطاً ومنتهياً بتلك التي لا تنطبق عليه إلا قليلاً جداً . واستعمل المقياس التالي في تدريجك لها :

٤ - تشير إلى دائماً تقريباً يتصف بها (الصفات التي دائماً تقريباً يتصف بها) .

٣ - بشكل متكرر يتصف بها (الصفات التي بشكل متكرر يتصف بها) .

٢ - بالصدفة يتصف بها . (الصفات التي بالصدفة ما يتصف بها) .

١ - نادراً ما يتصف بها .

واكتب رقم الدرجة أعلاه المناسب بالنسبة لكل صفة تالية وصفتها .
واستخدم نفس الطريقة مع الأشخاص من ب . . . حتى وبالترتيب .

٦ - رتب هؤلاء الأشخاص من آ و حتى هـ (باستثناءك) استناداً إلى معرفتك بهم فالشخص الذي تشعر أنك تعرفه جيداً وأكثر تعطيه الدرجة الأولى ، والشخص الذي تعرفه أقل تعطيه الدرجة أو الرتبة الثانية وهكذا حتى تصل إلى الشخص الذي تعرفه أقل معرفة حيث يحصل على الدرجة

أو المرتبة الخامسة . (اكتب هذه الدرجات أو المراتب في القسم العلوي من زاوية كل صفحة أو بطاقة).

٧ - في العمود الأول من مخطط ورقة العمل (الموجودة في الجدول ١)، عليك أن تكتب أسماء الأشخاص الخمسة غيرك (الأشخاص من آ حتى هـ) استناداً إلى الدرجات التي رتبتهم بها حسب معرفتك بهم (بالخطوة ٦).

فالشخص الذي وضعته في المرتبة أو الدرجة الأولى (الذي تعرفه أكثر) تضعه في الأول بالجدول ، والذي وضعته في المرتبة الثانية تضعه في الثاني بالجدول بما يناسبه وهكذا حتى النهاية .

٨ - في العمود الثالث المتعلق بعدد الصفات المستعملة ، عليك أن تضع مجموع الصفات التي وصفت بها كل شخص بمكانه المناسب في الدرجة (من آ حتى هـ) وفي الأسفل من نفس العمود ، ضع المجموع لهذه الصفات باستثناءك (من الصفات آ حتى هـ) وقسم هذا المجموع على ٥ لكي تحصل على المتوسط . وضع هذه النواتج في المكان المخصص (المتوسط).

٩ - في الأعمدة التي تدرج تحت مصطلح الانتشار ، سجل عدد الصفات لكل شخص (من آ حتى و) بما يتفق والفئات الأربع لمقياس التكرار (دائماً - متكرر - بالصدفة - نادراً) ، وهي الأرقام التي كتبتها في الخطوة الخامسة . وبعد ذلك عليك أن تسجل مجموع الصفات لكل من فئات المقياس الأربع في أسفل كل عمود .

عليك أن تحسب النسبة المئوية للصفات التي تدرج ضمن كل فئة من هذه الفئات الأربع وتسجلها بمكانها المناسب أسفل كل عمود . ولكي تقوم بذلك عليك أن تقسم المجموع العام للصفات الكاملة لكل الفئات على عدد الصفات الخاصة بكل فئة ثم تضربها بـ ١٠٠ .

١٠ - انظر إلى كل الصفحات (البطاقات) التي وضعت بها الأشخاص

(من آحتى و) وتأكد مما إذا وجدت صفتان أو أكثر متشابهتان أو متكررتان وذلك فيما بين الأشخاص . مثلاً ، إذا وضعت ذاتك أنك شهم ووالدك معطاء أو كريم ، فهذه توضع في صفة واحدة سواء في تعبير الشهامة أم الكرم أو عن طريق وضع الاثنتين معاً - كما في السابق - على شكل «شهم - كريم» ، ولاحظ أن هذه الطريقة هي التي استعملت سابقاً في الخطوة الرابعة . وبعد ذلك ضع دائرة حول كل من الصفات التي تشاهدها في الأشخاص (من صفحة آحتى هـ) والتي تجدها في نفسك وتتطابق معك (باعتبارك صفحة و).

١١ - احسب النسبة المئوية للصفات المستعملة لكل شخص من آحتى هـ (التي تناسبك تنطبق عليك) وسجلها في العمود الخاص بنسبة التشابه وذلك بأن تقسم المجموع العام للصفات على مجموع الصفات المتطابقة بينك وبين الآخرين التي وضعتها في دوائر ثم اضرب النتائج بـ ١٠٠ .

نقاش :

ربما لاحظت عدداً من المظاهر المثيرة في استخدامك لوصف السمات والخصائص الشخصية للآخرين ولنفسك . وللتزود بأفكار أخرى ، سوف نشير إلى بعض نتائج علماء سيكولوجية السمات ، والمرتبطة بهذا الإطار الشارح .

بعض الصفات المستعملة في الوصف الذاتي :

يُعتبر جوردون ألبورت من أوائل العلماء الذين فحصوا ودرسوا مصطلحات السمات ومفاهيمها ، تلك المصطلحات والمفاهيم والأوصاف التي يستعملها الناس لوصف أنفسهم والآخرين . وقد لاحظ أننا نستخدم العديد من الصفات لهذا الغرض لكن أكثرها متشابه ومترادف . ولذلك يمكن حذف الكثير منها أو اختزالها . واستناداً لخبرتك في الحذف والاختزال (كما أجريت) وكما فعل ألبورت ، فإن من الممكن اختصار وحذف العديد من الصفات في القائمة المبدئية للصفات التي

توضع أولاً في وصف الأشخاص. وبعد أن حذف ألبرت الصفات المتشابهة ، وجد أن أكثر الناس يستعملون عدداً من الصفات التي يصفون بها غيرهم ويتراوح هذا المدى بين الثلاث والعشرة ، فهل يقع متوسط عدد الصفات التي استخدمتها ضمن هذا المدى؟ وكيف يمكن مقارنة عدد الصفات التي وصفت بها ذاتك مع متوسط الصفات التي استعملتها في وصف الآخرين؟

السمات والوراثة : Traits and Genetics

إن علماء نفس السمات الآخذين بالمنظور أو الأساس البيولوجي قد وجدوا دليلاً يبين أن هناك سمات (قابليات شخصية) تنتقل وراثياً. والدليل على هذا ربما يؤخذ من الإطار الشارح هذا ، حيث يتبين وجود درجة من التشابه بينك وبين والدك (العمود الخاص بنسبة التشابه في الجدول ١) فهل هذا التشابه أكبر من التشابه بينك وبين أصدقائك المقربين؟

العلاقات بين الناس : Relationship to people

ربما يعتقد بعضهم أن علاقتك الحميمة مع شخص ما تزيد من معرفتك به هناك بعض الدلائل من علم النفس تشير إلى أننا غالباً ما نشعر بالراحة عند وصف بعض الناس الذين نعرفهم بدرجة أقل. مثال على ذلك ، العلاقة بين عدد الصفات التي استعملتها لوصف شخص وشعورك بدرجة معرفتك به. فالأشخاص الخمسة الذين وصفتهم في القائمة غيرك ، قد درجوا (رتبوا) في القائمة ترتيباً تنازلياً حسب معرفتك بهم.

وهكذا يمكنك النظر إلى عدد الصفات المستعملة في العمود لتتعرف على النمط الناتج. هل المعلومات «البالية القديمة» التي استعملتها في وصف الشخصية التاريخية التي تعظمها بدرجة عالية ، كافية لوصف هذا الشخص بدقة؟ وكيف يمكنك أن تصف بشكل جيد شخصاً ما أنت رأيت أو تعرفت عليه مرة واحدة في مكان ما؟

الانتشار : Pervasivehess

لقد وجد ألبورت وآخرون أن السمات تختلف في درجة وجودها وانتشارها في شخصية معينة. وأن السواد الأعظم من الناس لا يملكون السمات التي يصفون بها الآخرين في شخصياتهم (انظر في العمود الخاص بفئة دائماً تقريباً).

قضايا أخرى : Other issues :

عليك أن تحتفظ بمواد الإطار الشارح التي استعملتها وذلك لتعود إليها عند قراءتك هذا البحث. وحتى الآن فإنك راغب بالمزيد من الوصف لتحليل شخصيتك وسماتها. فما هي الاختلافات النوعية بين الصفات التي استخدمت لوصف الآخرين الذين تعرفهم؟ وما هي الاختلافات التي تتوقعها في حال إعادتك عمل الإطار الشارح ولكن لوصف الأفراد من الجنس الآخر. تفحص مثل هذه الأسئلة لأنها ستساعدك في تفهم استراتيجية السمات.

«نهاية الإطار الشارح - ١»

إن أغلب الناس (القراء) يرون الإطار الشارح السابق سهلاً ، وإنما غالباً ما نرى الآخرين من خلال صفاتهم وسماتهم. إن أحد أسباب ذلك ، هو أن وصف الناس استناداً إلى سماتهم يخدمنا في تنظيم مفاهيم تساعد في شرح سلوك الأشخاص في الأوضاع المختلفة (ستاچنر ١٩٧٦ stagner).

١ - المفاهيم المبكرة للسمات

إن مفاهيم السمات بشكل أو بآخر ، قد استخدمت لتنظيم أفعال الناس وشرحها منذ أكثر من مئات السنين. ومن المفيد أن ننظر إلى بعض هذه

الأفكار المبكرة. لذلك سنلقي نظرة سريعة للخلف ، قبل المضي في الطرق المعاصرة لنظرية السمات .

لقد افترضت الأفكار المبكرة للسمات ، أن الناس يمكن تصنيفهم في عدد قليل من الأنماط فيما يتعلق بشخصياتهم . وبمعرفة نمط الشخص يمكن التنبؤ بسلوكه وتصرفه في المواقف الأخرى . وقد استخدم القدماء هذا المنظور في تقويم الشخصية وتشخيصها . وهناك أيضاً الأمزجة الأربعة التي تعتبر الأقرب إلى النظريات المعاصرة . واعتمدت هذه النظرية على أساس إغريقي يقول : إن الكون يتكون من أربعة عناصر أساسية : الهواء والماء والنار والأرض . وقد وسّع أبقراط هذه الفكرة في النظر إلى الناس حيث افترض أن الجسم يتضمن أربعة عناصر أو أخلاط Humor : الدم والبلغم والصفراء والسوداء ، وهذا ما يماثل العناصر الأربعة المكونة للعالم . وأن الزيادة في واحدة منها يطبع الشخصية بطابع (مزاج) خاص بها .

وهذه الأنماط الشخصية هي : الدموي ويتميز بالإستثارة والنشاط ، والبلغمي ويتميز بالتبلد وعدم الاكتراث . والصفراوي يتميز بشدة الانفعال . والسوداوي يتميز بالاكتئاب والحزن . إن نظرية الشخصية هذه لم يؤخذ بها بجدية بالرغم من أن الأمزجة الأربعة قد استمرت في البقاء والظهور في لغاتنا حتى اليوم .

هناك أكثر من أربعة أنماط للناس ، وهذا ما توضح حتى للقدماء . ولذلك فقد وضعت قوائم مكثفة للأنماط . إن وضع الناس ضمن أنماط ، قد استمر الأسلوب الشائع لوصف الشخصية مع بعض التغييرات خلال مئات السنين . وأكثر الأفكار التي انتشرت تبين أن المظهر الجسدي يعبر عن الشخصية وكما ظهر في إحدى مسرحيات شكسبير «يوليوس قيصر» والاعتقاد السائد اليوم منذ تلك المسرحية ، مثلاً ، هو أن الناس يمكنهم تحديد النمط الإجرامي من المظهر الخارجي وشكل الجسد أو تكوينه .

٢- الافتراضات النظرية لاستراتيجية السمات

Theoretical assumption of the traits strategy

هناك ثلاثة افتراضات شائعة لنظرية السمات وهي: أن السمات ثابتة نسبياً ومستمرة عند الشخص Traits are Relatively Stable and enduring ، وأنها متسعة وعامة بمعنى ما Consistent and general ، وأن الأفراد يختلفون في سماتهم. وسنشرحها الآن:

١- الثبات النسبي للسمات: Relative stability of traits .

إذا ما تصرف الشخص بطريقة ما في مواقف معينة فإننا نتوقع منه أن يسلك بنفس الطريقة (نفس السلوك) في مواقف أخرى. إن علماء نفس السمات والقابليات يميزون بين ثلاثة مفاهيم مختلفة فيما يتعلق بهذا الافتراض. أولاً ، إنهم يعتبرون استعداد الفرد الثابت وقابليته للتصرف بطريقة معينة على أنه سمة ، تميزاً لها عن استعداد الفرد وقابليته للتصرف بطريقة ما ولكن بصورة أقل ثباتاً وغير متسقة مع الزمن ، ويسمون هذه على أنها حالة state وقد توصلوا إلى هذه النتيجة من خلال دراساتهم للسلوك في شروط مختلفة كالتعب والشدة النفسية والتغيرات الطارئة. ويمكن أن نميز هذا مع القلق ، حيث يصف سبايليلجر (1966) Spielberg حالة القلق كسمة (سمة القلق) Trait anxiety على أنه «الاستعداد للاستجابة [مع القلق] لأوضاع ومواقف مهددة للفرد» وهذا يختلف عن حالة القلق (القلق كحالة) State anxiety على أنه «الشروط والظروف التي تتصف بها العضوية بمشاعر خاصة من التخوف ودرجة عالية من الإثارة والنشاط أو الفعالية في الجهاز العصبي المستقل» (Spielberger, Gorsuch 1966) فالقلق كسمة هو الاستعداد لتكون قلقاً فالشخص الذي يتميز بدرجة عالية من هذه السمة ربما يكبح أو يكف inhibit حالة القلق تحت ظروف ذات توتر وضغط نفسي شديد وقد بينت بعض الدراسات

الحديثة أن تمييز السمة الحالة له قيمة هامة بالنسبة لسِمات أخرى أيضاً. وكما نتوقع فإن قياس الحالة يختلف كثيراً عن قياس السمة من وضع لوضع آخر (Zuckerman 1983). وبنفس الدرجة من الأهمية يعتبر علماء سيكولوجية السمات أن السمة هي الطريقة والنموذج العام لتوظيف السلوك (السلوك الوظيفي). وربما تأخذ السمة أشكالاً سلوكية عملية وحسية مع تطور الفرد نحو النضج ولذلك علينا أن نعرف عن ماذا نبحت وننظر قبل أن نقول فيما إذا كان سلوك الفرد ثابتاً مع الوقت وبمرور الزمن. إن السمات ليست فقط مجرد عادات *not merely habits*، إنها تعكس الثبات والاتساق الداخلي. أما إذا أردنا أن نميز بين العادة والسمة، فإننا نقول بأن العادة هي نوع من الميل المحدد، في حين أن السمة أكثر عمومية منها. كما أن السمة تتكون على الأقل من تكامل عدد من العادات النوعية التي لها دلالتها التكوينية عند الفرد. إن العادات تتكامل عندما يتوفر عند الفرد مفهوم عام يعمل على تكوين السمة في ظل جهاز أرقى من التنظيم. وينظر بعضهم إلى السمة على أنها عادة من نوع راقٍ. لقد وضّحت هذه النقطة في مقال للعالم النفسي لويس Lewis ١٩٦٧ عنوانه «معنى الاستجابة».

لقد كان هذا العالم مهتماً بمعرفة مدى ثبات استجابات المولود عند تعرضه لحالات من الإحباط، حيث عمل على قياسها عند مجموعة من المواليد في الشهور الأولى من حياتهم، ثم أعاد عملية القياس والتجريب عندما أصبحوا في الشهر الثاني عشر من أعمارهم. وفي الشهر الأول تضمن الإحباط عملية تحريك الثدي (الحلمة) عن فم المولود لمدة ٣٠ ثانية، وفي الشهر الثاني كان الإحباط عقبات فيزيقية واقعية منعتهم من الوصول لأمهاتهم أو لبعض لعبهم الجذابة. وقد كان البكاء هو مقياس الإحباط. إن استجابات كلا الوضعين كانت مترابطة سلبياً. فالمواليد الذين بكوا في الشهر الأول لم يكونوا هم الذين صرخوا في الشهر الثاني

عشر. مثل هذه النتيجة لا تعبر عن ثبات داخلي عميق كما توقع وأشار لويس. وبشكل خاص، يوجد بعض العادات التي كانت ثابتة وبعضها الآخر كان ثباته واتساقه سلبياً في استجابات المفحوصين.

ففي الشهر الأول لم تتطور المهارات الحركية بعد، وفوق ذلك فإن المولود النشيط قد لا يفعل شيئاً غير البكاء والصراخ. بينما في الشهر الثاني عشر من العمر يكون البكاء استجابة سلبية نسبياً. في هذا العمر، لا يبكي الطفل، وإنما يقوم ببعض الأفعال والحركات الجسدية لتغيير الوضع.

٢ - اتساق السمات وعموميتها Consistency and generality :

والافتراض الثاني لنظرية السمات يتعلق بالسابق ويرتبط به. ويعزى إلى ثبات السمات وعموميتها عند الفرد. وهي التي تحدد مدى تأثير السمات في سلوك الشخص فالذي يبدو طموحاً في عمله يبدو طموحاً أيضاً في سلوكه بأوقات الفراغ ونشاطاته الأخرى، ومن المحتمل أن يكون كذلك في تعامله مع أولاده.

لا توجد سمة واحدة تظهر في كل وقت وبكل الأوضاع والمواقف، والسبب في ذلك هو أن الشخص يتصف بالعديد من السمات وأحياناً تظهر مجموعة سمات شخصية في وقت واحد كاللعب مثلاً وذلك استناداً إلى الظروف التي يوجد بها هذا الفرد وفوق ذلك فإن سمة ما قد تكون وسيطاً لسمة أخرى غيرها. لقد فحص Kiphis (١٩٧١) مثلاً، العلاقة بين الاندفاعية والإنجاز أو التحصيل الأكاديمي، ووجد أن العلاقة بينهما كانت متحولاً وسيطاً moderator مع قدرات الشخص العقلية. وبين أولئك ذوي الذكاء العالي وفوق المتوسط بدا الأفراد الاندفاعيون أقل من حيث تحصيلهم المدرسي والعلمي وذلك بسبب اندفاعيتهم. ولكن الاندفاعية ليست مرتبطة بالتحصيل الأكاديمي بالنسبة لأولئك الذين كانوا أدنى من المتوسط في قدراتهم العقلية.

لقد كان اتساق السمات ، ثباتها وعموميتها ، إحدى نقاط الجدل الرئيسية عند علماء علم نفس الشخصية لمدة تزيد عن ٢٠ سنة الأخيرة . هذه الانتقادات ونقاط الجدل - كتلك التي وجَّهها والتر ميشيل Walter Mishel (١٩٦٨) لنظرية السمات - تشدد على القول بأن «أشكال السلوك التي غالباً ما نظر إليها على أنها مؤشرٌ على ثبات السمات ، هي بالحقيقة ذات خصوصية عالية وأنها تعتمد على تفصيلات ومثيرات الموقف الذي يمر به الفرد وعلى نمط استجابته التي تستخدم لقياسها» . ولكن ميشيل قد لاحظ من خلال العديد من الدراسات التي أظهرت عدم اتساق السمات ، أن أغلبها لم يكن يتبع طريق بحث دقيقة (Block 1977) وفي السنوات القليلة الماضية ، عمل الباحثون في نظرية السمات على إعادة تطوير طرائق البحث المتبعة وبينوا أن باستطاعتهم تأييد وجود مظاهر سلوكية (وأشكال سلوك) ثابتة ومتسقة في المواقف المختلفة ومع مرور الوقت (Dieher, larson 1984; woodruffle 1985; Conley 1984).

لقد وجد وودرف مثلاً (١٩٨٥) درجة عالية من الاتساق والثبات في المواقف المختلفة بالنسبة لسلوك الناس المتحرر أو المحافظ . كما بين كونلي (/ ١٩٨٤) أن الانطوائية/ الانبساطية والانفعالية تبقى ثابتة ومتسقة نسبياً حتى ما بعد الخامسة والأربعين من العمر . وبالرغم من ذلك فالعديد من الصفات التي تم دراستها من قبل علماء سيكولوجية السمات تبدو غير ثابتة ولذلك فالجدل حول هاتين الخاصتين (الثبات والعمومية) مازال مستمراً .

٣- الفروق الفردية Individual Differences :

إننا جميعاً نلاحظ فروقاً واضحة في العادات والاهتمامات والاستجابات الاجتماعية بني الراشدين الذي نعرفهم ونتعامل معهم حتى منذ الولادة ، فإن المواليد يختلفون في شدة ونبرة أصواتهم واستجاباتهم لمواقف إيجابية أو مكافأة (Buss, Plomin 1984) .

ومن الواضح أننا جميعاً أفراد مختلفون ومتميزون ، بحيث كل فرد يتميز عن الآخر في العديد من السمات كما تظهر في أشكال سلوك متعددة. إن استراتيجية السمات تعمل على دراسة هذه الفروق الفردية من خلال استنادها لثلاثة افتراضات رئيسية: الأول ، أن الفروق الفردية تنشأ من خلال الفروق في قوة السمة «Strength» التي يملكها الشخص ، والثاني أنها تنشأ من خلال عدد السمات التي يملكها «Number» ، والثالث ، استناداً إلى مجموع أو كمية السمات amount التي يملكها.

٣ - التعريف بسمات الشخصية

Identifying Personality Traits (Dispositions)

يمكن تنظيم سلوك الفرد وتحديداه ضمن عدد محدد من الأبعاد Dimensions حيث نقول عن شخص ما إنه سعيد ومسرور أو أنه عدواني أو أنه شخص بحاجة لأن يكون محبوباً أو أنه بخيل وشحيح stingy . . . إلخ فالسؤال هو أيُّ من هذه الأبعاد له الأهمية؟ أي منها تنطبق الافتراضات الرئيسية الثلاثة لنظرية السمات؟

كما بينا في الإطار الشارح (٨ - ١) أن أكثر الناس يصفون أنفسهم والآخرين بعدد محدد نسبياً من السمات. ولكن المجموع العام للسمات والأنماط والدوافع والحاجات التي افترضت إنسانية ، واسعة بشكل كبير في الواقع. لذلك يبحث علماء سيكولوجية السمات حالياً عن مجموعة من الأبعاد الأساسية للشخصية Underlying personality Dimensions التي من خلالها تنشأ كل الصفات والخصائص - الشبيهة بالسمات - عند الفرد.

ويشبه هذا البحث جهود علماء النفس الذين يهتمون في الإدراك البصري ورؤية الألوان فهؤلاء الباحثون أرادوا التعرف على «الألوان الرئيسية» من تلك التي يمكن أن تنشأ منها كل الألوان الأخرى عن طريق المزج المناسب ، ونحن نعرف الآن أن أربعة ألوان فقط (الأبيض ،

الأحمر ، الأخضر ، والأزرق) يمكن أن تنتج عدداً من الألوان التي يمكن رؤيتها عند شخص سوي مبصر. واستناداً لذلك ، فإن العديد من علماء سيكولوجية السمات يعتقدون أن الشخصية يمكن اختزالها لعدد محدد من الأبعاد الأساسية ، التي يمكن أن تنشأ منها كل الشخصيات الأخرى.

على هؤلاء العلماء أن يقرروا فيما إذا يجب النظر إلى عدد من المجموعات المحدودة للشخصية أو عدد من المجموعات العريضة والقليلة للسمات. إن قرارهم يعتمد بشكل رئيسي على تفضيلهم وحدسهم. فالطريقة الأولى تعطي المنشأ لنظريات السمات traits theories والثانية لنظريات الأنماط types theories (يمكن بسهولة معرفة الفرق بين هاتين النظريتين: فالناس يمكن أن يتصفوا بعدد من السمات ولكنهم يدخلون ضمن نمط واحد) وفي كلا الحالين تعتبر السمة تجريداً مركباً ومُستنتجاً abstraction is synthesized and inferred من مصادر مختلفة من المعلومات عن الناس.

إن المهمة الرئيسية لعلماء سيكولوجية السمات ، هي التعرف على الأبعاد الهامة ، أو السمات التي تصف السلوك الإنساني والشخصية وتشرحه وبهذه المحاولة يكون من المفيد واللازم وجود مؤشرات واضحة أو معايير تستخدم لقياس واختبار البعد المعطى أو السمة السيكولوجية.

إن واحداً من هذه المؤشرات والمعايير هو تحقيق الإتساق أو الثبات والعمومية فيها. ولكن هذين المؤشرين غير كافين بذاتهما. إن البعد يجب أن يميز بوضوح بين الأفراد فإذا كان كل شخص سعيداً (أو عدوانياً أو طموحاً) عندها سيكون استخدام هذا البعد كسمة للشخصية قليلاً ونادراً جداً. ولا يمكن استعماله للتنبؤ أو شرح الفروق الفردية بين الناس. إن طرائق السمات هي في الواقع من الطرق الهامة في دراسة الشخصية.

٤ - تقويم سمات الشخصية وتشخيصها

Traits personality assessment

تطبق نظرية السمات أكثر التقنيات التشخيصية والتقويمية استخداماً في قياس الشخصية. فالمقابلات والاختبارات الإسقاطية والموقفية تم استخدامها للتعرف على العديد من الصفات الشخصية. ومع أن التقرير Reporting (عكس الملاحظة observing) قد لعب دوراً هاماً في تقويم السمات وتشخيصها ، فإن أشكالاً واسعة من اختبارات الورقة والقلم وطريقة تقرير الذات قد تم استعمالها. بالإضافة إلى أشكال من الوصف الذي يتم الحصول عليه عن طريق التقارير التي يقدمها الأصدقاء والمقربين وكذلك السيرة الذاتية.

إن السمات هي تكوينات فرضية نظرية theoretical constructs ولذلك لا يمكن قياسها مباشرة وبدلاً عن ذلك ، يقوم الباحثون باستنباط قياسات للسلوك تعتبر مؤشرات هامة للسمات الأساسية. وغالباً ما تكون هذه القياسات تقرير الذات والاستبيانات. وفي نفس الوقت لا يوجد مقياس مطلق للسمات ، ولكن في الواقع هناك العديد من المؤشرات والمظاهر المختلفة.

إن الخاصية الأخرى المرتبطة بتقويم سمات الشخصية هي الإضافية أو الجمع Additivity حيث أن قوة أي سمة يفترض أنها جمع لعدد من الاستجابات المتعددة والمتنوعة. تصور أن مدرساً يريد مقابلة شخص غريب ، فإذا كان هذا المدرس من الذين يتبعون طريقة المناقشة في الصف ، وكذلك حديثه عن الامتحانات ، وأنه يبدو نشيطاً في مشاركة النقاشات الجماعية بالمدرسة ، فإننا نقول عنه إنه أكثر انبساطاً more extroverted من المدرس الذي يبدي نقاشاً في الصف وحول الامتحانات ولكنه لا يشارك في النقاشات الجماعية الكبيرة بالمدرسة. وبكلمة أخرى

إن الشخص الأول يُظهر سلوكيات (مظاهر سلوكية) أكثر تدل على سمة الانبساطية فالإضافة والجمع تعني درجة تجمع مظاهر سلوكية مع بعضها بعضاً لتعبر عن وجود السمة. ففي المثال السابق ، تجمعت مظاهر سلوكية أكثر عند المدرس الأول لتشير وتدل على وجود سمة الانبساطية. وهناك معياران رئيسيان يتم تطبيقهما لتحديد دقة تقنية (طريقة) القياس المستخدمة: الصدق التقاربي المتجمع Convergent validity ، والصدق التباعدي المميز discriminant validity (Campbell, Fiske 1959) ففي القياسات المعتمدة ، فإن نفس السمة قد تظهر في شكل مختلف تماماً كما في اختبارات الورقة والقلم والإسقاطية والموقفية ، ولكن يجب أن تكون متجمعة ومترابطة convergent and correlated بدرجة عالية. وبالمقابل فإن هذه المقاييس يجب أن تميز وتفرق بين السمة المقاسة عن غيرها من السمات ، وبذلك فإن ترابطها مع غيرها يجب أن يكون ضعيفاً إن علماء نفس الشخصية الذين يعتمدون نظرية السمات ، يعترفون بأن اختباراتهم غير تامة ، وأن كل الاختبارات تحتوي نسبة من الخطأ ، كما تحوي معلومات حقيقية وهامة عن السمة التي يتم قياسها وتقويمها. لذلك فإنهم لا يبالغون في تقييم ثبات وعمومية السمات الأساسية.

٥ - دراسة السمات والبحث فيها

Traits research and study

إن بحث السمات يتركز في ثلاث نقاط رئيسية:

الأولى: التعرف على الأبعاد الأساسية للشخصية.

والثانية: كشف مصدر الفروق الفردية.

والثالثة: فحص صدق وثبات اختبارات الشخصية المستعملة بذلك.

يركز علماء نفس السمات أيضاً على تحديد مدى فائدة هذه الاختبارات في الوصف والتنبؤ.

لقد تبين لنا أن استراتيجية التحليل النفسي ، تعتبر دراسة الحالة هي الطريقة الرئيسية في البحث في البحث . بينما استراتيجية السمات تُعتبر طريقتها الرئيسية هي التحليل العاملي factor analysis ومعامل الترابط . ويهتم علماء سيكولوجية السمات دوماً بكيفية تجمع أشكال السلوك مع بعضها بعضاً ، أي كيفية ترابط المظاهر السلوكية التي تعبر عن وجود سمة ما . ويتحدثون عن سمات أساسية للشخصية فقط عندما يتجمع أو يترابط عدد من أشكال السلوك مع بعض ، وعندما تؤثر تلك السلوكيات (المشكلة للسمات) في تصرفات الفرد وتوجه سلوكه .

٦ - متانة السمات وإمكانية تغير الشخصية/ العلاج النفسي

تملك نظرية السمات القليل لتعبير به عن تغيير الشخصية إنها غير مرتبطة بأي شكل من أشكال العلاج النفسي . وهذا ما يميزها عن غيرها من استراتيجيات الشخصية ونظرياتها الأخرى . وهناك سببان رئيسيان لذلك : الأول ، هو أن هذه الاستراتيجية (نظرية السمات) تشدد على ثبات الشخصية . وهذا يتبع منطقياً القول بأن تغير الشخصية صعباً ، إذا لم يكن مستحيلاً . والثاني ، أن أكثر علماء سيكولوجية السمات يعملون كعلماء نفس أكاديميين وباحثين أكثر منه كعلماء نفس إكلينيكين أم معالجين متمرسين .

إن المشاركات العيادية العملية لعلماء سيكولوجية السمات تتركز أساساً في القياس ، التقويم والتنبؤ بالسلوك أكثر منه في العلاج النفسي . وما يقومون به على الأكثر ، هو إيجاد الوضع المناسب للشخص . وهذا على العكس من العلاج النفسي الذي يحاول تغيير الشخص وسلوكه ليتوافق مع الموقف أو الوضع الذي يوجد فيه . مثلاً ، لنفترض أن شخصاً تبين وجود سمة العدوان عنده ، ربما يكون من الأفضل إبعاده عن الأوضاع المثيرة للعدوان بدلاً من محاولة تغييره بحيث تصبح تصرفاته

الجديدة أكثر سوء من السابقة . ومع أن نظرية السمات لم ترتبط بذاتها مع طريقة ما من طرق بالعلاج النفسي ، فإن بعض علماء النفس أتباع هذه النظرية يتمون بشكل فعال إلى تقنيات علاجية أخرى تنتمي لاستراتيجيات أو نظريات أخرى في الشخصية والعلاج . دافيد ماكلياند david maclelland مثلاً طور برنامجاً تخيلياً لتغيير السمة ، والحاجة للإنجاز والتحصيل (كما سنرى لاحقاً) .

* * *